مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

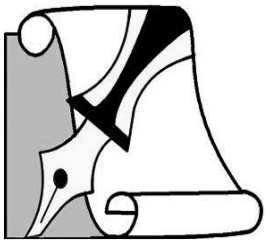

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

المعركة المصيرية في رَفَح: أمَل أم فشَل ؟

1 – مَدْخَل:

منذ أكثر من ثلاثة أشهر والعدو الإسرائيلي يتوعّد باجتياح رفح، في الوقت الذي يُقدِّم فيه رِجلًا ويؤخّر أخرى؛ ليس لعدم رغبته بالاجتياح، وإنما لتَردّده الكبير، وارتباك حساباته، وخشيته الحقيقية من الفشل؛ بالإضافة إلى ضغوط الولايات المتحدة وباقي حلفائه، الذين يُنْذرونه من عواقب وخيمةٍ ومن حصاد مُرٍّ. أَمَا وقد دخلت الحرب على غزة "وقْتها الضائع"، بعد أن استَنْفَدت مُبَرّراتها وجَدْواها، وفشلت في تحقيق أهدافها، في سَحْق "حماس" وتحرير الأسْرى الإسرائيليين، وتوفير الأمن للكيان، فإنه يَجْري تقديم فكرة اجتياح رفح كوصفةٍ لتحقيق الأهداف والخروج من المأزق، ومُحاولة كسْب المزيد من الوقت لإقناع المجتمع الصهيوني بجدوى استمرار الحرب. وهذا يُعْطي أيضاً فرصة لبنيامين نتنياهو للقفز إلى الأمام، وإطالة عُمره السياسي ورئاسته للوزراء؛ والتَهرّب من الاستحقاقات التي تنتظره في سقوطه وحزبه في الانتخابات المُقبلة، وفي احتمال سَجْنه وإنهاء حياته السياسية. فبالنسبة لنتنياهو وتَحالفه، ولقطاع عريض من المجتمع الصهيوني، فإن التوقّف عن الحرب قَبْل محاولة اجتياح رفح، وقَبْل تحقيق الحد الأدنى من الأهداف (على الأقل تحرير الأسْرى وتوفير الأمن لغلاف غزة) سَيَعْني كارثة إسرائيلية كبيرة. إذ يَعْني أن "حماس" خَرَجت مُنْتَصرة، وأن المشروع الصهيوني فَقَدَ مَلاذه الآمن في فلسطين المحتلة؛ كما فَقَدَ قُدرته على الردع، وصورته المُهَيْمنة الطاغية في المنطقة؛ وهذا سَيَعْني أيضاً مزيداً من الالتفاف الشعبي، الفلسطيني والعربي والإسلامي والعالمي، حول محور المقاومة وحول قضية فلسطين. ولذلك، فإن الهجوم على رفح ما يزال الخيار الأقرب للاحتلال الإسرائيلي. وبالفعل، تؤشّر عدّة مُتغيّرات على ساحة المواجهة في قطاع غزة، إلى أنّ الاجتياح الإسرائيلي البريّ لمدينة رفح بات وشيكاً، خاصة على ضوء تصريحات نتنياهو الأخيرة حول تصعيد الضغط على "حماس"، ومُوافَقة رئيس أركانه هرتسي هاليفي على "المراحل التالية للحرب"، إذ قال نتنياهو: "سَنُوجّه ضربات إضافية ومؤلمة. في الأيام المُقبلة، سَنَزيد الضغط العسكري والسياسي على "حماس"، لأن هذا هو السبيل الوحيد لدَيْنا لتحرير الرهائن". وأضاف: "لن تَمْنَعَنا أي ضغوط دولية من

تحقيق كلّ أهداف الحرب: القضاء على "حماس"، والإفْراج عن جميع الرهائن، وضمان ألّا تُشكّل غزة تهديداً ضدّ إسرائيل بعد الآن. وللقيام بذلك سَنَتحرّك أيضاً في رفح؛ وهذا سَيَستغرق بضعة أسابيع، وهذا ما سَيَجري". وتَحَدّث العديد من المُحَلّلين، في الداخل الإسرائيلي وخارجه، عن أن المعركة المصيرية في رفح قد باتت "مؤكّدة ووشيكة".

وعلى أرض الواقع، مساحة رفح لمن لا يَعْرفها، لا تَتَجاوز حجم مطار كبير في المدن الأوروبية، ومساحتها المأهولة أكثر بقليل من 55 كم مُرَبّعاً، وهي تَحْتَضن مليون ونصف مليون إنسان. وأكثر من نصف الفلسطينيين في القطاع يُقيمون حاليًا في ضواحي رفح، التي تَضَخّم حجم سكّانها إلى أكثر من سبعة أضعاف عدد سكّانها الطبيعي. ومع ذلك يصرّ القادة الإسرائيليون على أنّهم لا يستطيعون كَسْب الحرب بدون هزيمة من تَبَقّى من "حماس" في رفح. لكنّ الكلّ يُجْمِع على أنّ هذا لن يَقْضي على "حماس" بالكامل؛ وبالتالي تبدو العواقب الكارثيّة مُشابهة إلى حد كبير لِما حَدَثَ بالفعل في شمالي غزة؛ بل قد تكون أسوأ منه. وبالتالي استَبْعد مُحلّلون آخرون إقدام "إسرائيل" على الهجوم، وقالوا إنّ ما يُتَداول إعلامياً هو مُجرّد "حرب نفسية تكتيكية وورقة تفاوضية".

هذا وكشف موقع "تايمز أوف إسرائيل"، أن رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، أكّد أربع مَرّات على الأقل في الشهرين الماضيين، على اقتراب العملية العسكرية البريّة على المدينة المُكتظّة بالسكّان والنازحين. وقد تَضَخّمت التحليلات والحملات الإعلامية بشأن معركة رفح المُفترضة وكأنّها تَحوّلت إلى معركة الحَسْم الكبرى مع "دولة عظمى"؛ بل وكأنّ الحرب المُدمّرة، المتواصلة منذ السابع من أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، ليست بشيء يُذْكَر أمام هذه المعركة العتيدة. ووصفت الإعلامية رافيت هيتشيت، في صحيفة هآرتس، هذا الاجتياح المُنْتَظر بـ"المغامرة التي يقودها جيش أشْرَفَ على كارثة فظيعة وحرب فاشلة"؛ وأوضحت ساخرة "أن حكومة الحرب الإسرائيلية لديها جدول أعمال مُزْدَحم بالحروب؛ فَرَفَح أولاً، ثم حزب الله، ثم إيران. لكن بَنْك الأهداف، يا للأسف، لم يَشْمل روسيا والصين أيضاً."

وضمن هذه الأجواء، من الصعب مَعْرفة كيف يُفكّر نتنياهو في ظل الضغوطات الهائلة التي يَتَعرّض لها داخلياً وخارجياً. وفي السياق، تساءل الكاتب جدعون ليفي، في صحيفة هآرتس، إن كانت قرارات نتنياهو العنيدة تتعلّق بإرضاء شركائه في الائتلاف، أم أنّه كان يعتقد فعلاً أن اجتياح رفح سيُحقّق له النصر الذي يَحْلم به ويُكَرّر تَشَبّثه به!

في المُقابل، هدّد وزير الأمن القومي، إيتمار بن غفير، نتنياهو، بحسب موقع "بوليتيكو" الأمريكي، قائلًا: "إذا قَرّر رئيس الوزراء إنهاء الحرب بدون شن هجوم كبير على رفح لهزيمة حماس، فلن يكون لديه تفويض للاستمرار في مَنْصبه". وإذا خسر نتنياهو دعم بن غفير، فإن حكومته ستَنْهار، ممّا يؤدّي إلى انتخابات جديدة من المُرجّح أن يَخْسرها.

وبالرغم من أي شيء، اعْتبر خبراء في موقع "واي نت" الإسرائيلي أن الإعلان عن اجتياح رفح تكراراً قد لا يكون سوى تكتيك أو ورقة ضغط على "حماس" لقبول شروط إسرائيل لإطلاق سراح رهائنها. كما قد يكون الإعلان الأخير عن اقتراب الاجتياح مُجرّد أداة لتفتيت الصراع، وتشتيت الانتباه عمّا يجري في قطاع غزة، من شماله إلى جنوبه، من إجرام وانتهاك للقوانين الدولية والإنسانية، وصَرْف النظر عن الموت بسبب التجويع الذي بدأ يشهده فعلياً شمال القطاع، بحسب منظمة حقوق الإنسان "هيومان رايتس ووتش". ولا يَنْبغي أن نَنْسى الضغوطات والأزمات السياسية الحقيقية التي يُواجهها نتنياهو خارجياً وداخلياً. ففي "إسرائيل"، بدأت المُظاهرات الاعتراضية تأخذ زَخماً جديداً، ورُفِعت شعارات لا تُطالِب بصفقة تبادل فقط، ولكن بإسقاط نتنياهو نفسه أيضاً، لا سيما في ظل احتمال أن تُصْدِر المحكمة الجنائية الدولية أوامر باعتقال مسؤولين إسرائيليين، على رأسهم نتنياهو وغالانت وهاليفي، بحيث أُصيب هؤلاء بالذعر، وطلبوا النجدة من حلفائهم في الولايات المتحدة، من أجل مَنْع قرار كهذا. وتقود هذه الحملة "هيئة الأمن القومي في إسرائيل"، التي يَرْأسها تساحي هنغبي، المُقرّب من نتنياهو. كما يَنْخرط فيها وزير الخارجية الإسرائيلية، يسرائيل كاتس، الذي أعطى تعليماته إلى كلّ مُمَثّليات "إسرائيل" في العالم بالاستعداد فوراً لـ"اندلاع موجة خطيرة من مُعاداة اليهود وإسرائيل في العالم". كما تَزايدت الضغوط العالمية على الحكومة الفاشيّة الإسرائيلية بعدما قَتَل الجيش الإسرائيلي سبعة من العاملين في المجال الإنساني في منظمة "المطبخ المركزي العالمي"، في الفترة نفسها التي قُصِفت فيها القنصلية الإيرانية في دمشق، في الأول من إبريل/نيسان الماضي. واعتبرت خبيرة الشؤون الإسرائيلية، ميراف زونسزين، في موقع +972، أنّ تهديد نتنياهو بالغزو يمكن أن يكون "خدعة"، إذ يُعطيه هذا غطاءً ليقول في المستقبل، إن السبب وراء عدم قُدْرة إسرائيل على هزيمة "حماس" بالكامل كان نتيجة مُعارضة الولايات المتحدة لغزو بريّ كبير في رفح. وأوضحت كيف أن "إسرائيل" استفادت من الضربة الانتقامية التي نَفّذتها إيران عليها؛ إذ ساعدت في تراجع عُزْلتها الدبلوماسية عالمياً. واتّكَل نتنياهو على تَحالف استراتيجي عربي وغربي ضدّ إيران، فيما انشغل مجلس

الأمن في إدانة إيران بدلًا من مُناقشة وقف إطلاق النار في غزة. كما أنّ تسليط الضوء على رفح قد يُساعد نتنياهو، الذي أخْبَر وزير الخارجية الأميركي بلينكن، بحسب مجلّة "تايم" الأمريكية، صَراحة، في الشهر الماضي، أن إسرائيل ستَدْخل إلى رفح بموافقة الولايات المتحدة أو بدونها؛ عِلْماً بأنّ الجميع يَعْلم أن إسرائيل لا تستطيع اجتياح رفح من دون دعم وموافقة الولايات المتحدة.

2 – تحضيرات لوجستية لغَزْو رفح:

أعْلنَ الجيش الإسرائيلي أنه حَشَد لواءين من جنود الاحتياط للقيام بمهام في غزة. وقال مُتحدّث باسم حكومة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، إن إسرائيل "تمضي قُدُماً" في عملية بريّة، لكنه لم يذكر جدولًا زمنيًا. وأشارت تقارير إعلامية إلى نَشْر المزيد من المدفعية وناقلات الجنود المُدَرّعة في محيط قطاع غزة. وقالت صحيفة معاريف الإسرائيلية إن القوات وضِعت في حالة تأهّب، لكن الجيش الإسرائيلي رَفَضَ التعليق على تلك التقارير. وأظهر مقطع فيديو مُتداول عبر الإنترنت صفوفًا من الخيام البيضاء نُصِبت في منطقة في خان يونس على مسافة 5 كلم شمالي رفح، التي دُمّرت عقب حملة جويّة وبريّة إسرائيلية استمرّت لأشهر. وتُشير التسريبات، بحسب وسائل الإعلام الإسرائيلية، إلى شراء الحكومة الإسرائيلية 40 ألف خيمة تَتّسع كلّ منها لـ 12 شخصاً، ممّا يُشير إلى خطة لتهجير ما يَقْرب من نصف مليون فلسطيني. لكنّ كبار المسؤولين في إدارة جو بايدن، بحسب شبكة "سي إن إن"، يَعْتبرون إعلان نتنياهو مُجرّد تهديد. وقال أنتوني بلينكن، وزير الخارجية الأمريكي، في مؤتمر صحفي: "ليس لدينا موعد لأي عملية في رفح، ولا أرى أي شيء وشيك." وقال يوآف غالانت، وزير "الدفاع" الإسرائيلي، بحسب موقع تايمز أوف إسرائيل، في التاسع من إبريل/نيسان، إنه أخْبَر لويد أوستن، وزير الدفاع الأمريكي، أن إسرائيل لا تزال تضع خُطَطَها لهجوم محتمل. وأشار لأوستن إلى أنه لم يتم بعد تحديد موعد للغزو. وقال المُتحدّث باسم مجلس الأمن القومي بمجلس النواب، جون كيربي: "لا نرى أيّ مؤشّر على أن القوات التي سُحِبت من خان يونس سيتم إعادة تَمَرْكزها للقيام بهذا النوع من العمليات البرية." ورأى عاموس هارئيل، المُحلّل والمُراسل العسكري لصحيفة هآرتس، "أن المساعدات، التي كانت تُمثّل ورقة ضغط بيد إسرائيل لإطلاق سراح الرهائن، لم تعد تَمْتلكها الآن. ولذلك فإن اجتياح رفح قد يكون وسيلة بديلة لزيادة الضغط على حماس في المفاوضات." وأضاف: "لقد أخْبَر بايدن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بعدم موافقته على

غزو رفح. لذلك فقد نَشْهد توغّلاً أصغر خلال فترة زمنية محدودة، تَضْرب فيه إسرائيل كتائب حماس بقوّة ثم تَنْسحب." كما أن هناك تقارير أمريكية تؤكّد أنه لا توجد خيارات إخلاء قابلة للتطبيق، برغم ما قاله نتنياهو في التاسع من فبراير/شباط الماضي، إنه أمَر الجيش بإعداد خُطط إخلاء لمدينة رفح تحسّباً لهجوم برّي.

وفي الوقت نفسه، ذَكَرت وسائل إعلام إسرائيلية أن الولايات المتحدة تُجْري محادثات مع الدول العربية بهدف إنشاء "سلطة انتقالية مُتعدّدة الجنسيات" تكون مسؤولة عن حكم وإعادة بناء القطاع على مدى السنوات الخمس المُقْبلة، كجزء من خطوات نحو الاعتراف بدولة فلسطينية. وهذا يعيد إلى الأذهان اتفاق أوسلو الذي يعتبره عدد كبير من الفلسطينيين خديعة و"فخّاً" لا ينبغي السقوط فيه مرّة أخرى. والتحدّي الرئيس الذي تُواجهه "إسرائيل" حالياً لا يقتصر على تفكيك قدرات حماس العسكرية فحسب، بل أيضاً وبشكل أساسي، مَعْرفة من سيَخْلف حماس في غزة، وكيف سيمتد تأثير حرب غزة على الضفة الغربية وعلى الفلسطينيين من حَمَلة الجنسية الإسرائيلية، وعلى المنطقة بأسْرها.

لكن، وعلى الرغم ممّا تقدّم، تؤكّد تقارير اعلامية بأنه لا يمكن أن تتم عملية غزو رفح عسكرياً في وقت قريب لأسباب لوجستية. ويثير الإعلان عن شنّ هجوم كبير على رفح مُعارضة دولية شديدة، بما في ذلك معارضة الولايات المتحدة. إذ أعْرَبت واشنطن عن شكوكها العميقة بشأن خطة "إسرائيل" لاجتياح رفح، وتقول إن أهداف الحرب يُمكن تحقيقها من خلال وسائل أخرى. وتسعى الولايات المتحدة إلى إقْناع "إسرائيل" بالاكتفاء بشنّ المزيد من الضربات التي تستهدف قيادة "حماس"، والتنسيق مع القاهرة من أجل تأمين الحدود بين مصر وغزة لمَنْع التهريب. لكن مصر تَنْفي تماماً إمكانية التهريب عبر حدودها مع غزة. ومن المؤكّد تقريبًا أن أي عملية بريّة كبيرة في رفح تحتاج إلى التنسيق مع واشنطن والقاهرة، نظرًا لموقع المدينة على الحدود المصرية. كما تُعارِض مجموعة السبع عملية عسكرية بريّة واسعة النطاق في رفح، مع تَزايد المخاوف من مَقْتل الكثير من المدنيين. أما بريطانيا، فقد حذّرت، بحسب موقع تايمز أوف يسرائيل، على لسان وزير الخارجية ديفيد كاميرون، من مَغبّة فشل مفاوضات الهدنة بين "إسرائيل" و"حماس". وبحسب مجلّة تايم، فقد تَراجَعت الولايات المتحدة بقوّة عن خطة رفح، رغم استمرارها في دعم المجهود الحربي الإسرائيلي. فمع تزاحم أكثر من مليون فلسطيني نازح في رفح، من المؤكّد أن العملية البرية ستؤدّي إلى تفاقم الكارثة الإنسانية التي شَهدتها غزة منذ الحرب. وكانت "إسرائيل" تسعى إلى الاعتماد على منظمة "المطبخ المركزي العالمي" لملء الفراغ اللوجستي لتكون بديلًا لسلطة "حماس"

ووكالة غوث اللاجئين (الأونروا) العاملة في غزة، والتي سعى نتنياهو إلى التخلّص منها. لكن الغارة الإسرائيلية على قافلة المطبخ المركزي العالمي، ومَقْتل سبعة من عمّال الإغاثة لديه، أدّت إلى إيقاف خدماتها، التي لم يُعْلَن عن استئنافها إلّا مؤخّراً.

وتساءل مسؤولون أمريكيون خلال مُناقشة اجتياح رفح مع نظرائهم الإسرائيليين، عن كيفيّة القضاء على مُسَلّحي "حماس" المُتبقّين، والبالغ عددهم 3000 مُقاتل في رفح – بحسب التقديرات الإسرائيلية– دون تعريض 1.4 مليون فلسطيني هناك للخطر. والمعضلة الأكبر تَكْمن في السؤال: ماذا سيفعل نتنياهو إن اجتاح رفح ولم يُحقّق أهدافه؟

لقد أرْسَل مكتب الشؤون الفلسطينية في السفارة الأمريكية في القدس، بَرقيّة تحذير عاجلة، وصِفت بالحسّاسة، إلى مسؤولي وزارة الخارجية في واشنطن، حَمَلت عنوان: الغزو الإسرائيلي لرفح ستكون له "عواقب إنسانية فادحة". وتَزامنت هذه البرقيّة مع تزايد الضغوط على الرئيس الأمريكي بايدن، داخلياً وعالمياً، لوقف الحرب في غزة. وقال موقع "ذا أنترسبت" الأمريكي، الذي نَشَر بعض ما جاء في البرقيّة الدبلوماسية: "العبور من رفح أصبح صعباً وخطيراً بسبب الطرق المُزْدَحمة للغاية؛ الناس هنا يقولون: "العالم يُريدنا أن نموت". وجاء في التحذيرات أن إسرائيل تَشن غارات جويّة شبه يومية على رفح، حيث يحتمي أكثر من نصف سكّان غزة البالغ عددهم 2.3 مليون نسمة. وتَفاقم الذعر في رفح مع تَزايد الغارات الجويّة المُميتة على المدينة المكتظّة؛ فالهجوم الإسرائيلي المُحْتمل سيَقْطع كلّ المساعدات، وسيَنْهار معه النظام الصحي تماماً. كما أن التوتّر في الضفة الغربية المحتلة يَتَفاقم. وقَتَلت القوات الإسرائيلية ومستوطنون إسرائيليون هناك حتى الآن أكثر من 469 فلسطينياً منذ بدء حرب غزة، وفقاً لوزارة الصحة الفلسطينية. وقد استشهد مُعْظمهم خلال مُداهمات الجيش الإسرائيلي التي تؤدّي غالباً إلى مواجهات واحتجاجات عنيفة. كما قُتِل عدد من الإسرائيليين في هجمات مُتفرّقة شَنّها فلسطينيون. في المقابل، يبدو أن العالم بات يُدْرك أنه لا بُدّ من نزع فتيل الحرب، حيث قال مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض، جيك سوليفان، إنه يرى زَخَماً جديداً في محادثات إنهاء الحرب في غزة بين "حماس" و"إسرائيل" بوساطة قَطَرية ومصرية. وقد لا يكون من الحِكمة أن يتعامل الساسة مع غزة على أنها بعيدة عن الضفة الغربية؛ فهي امتداد لها. أما خارجياً، فلا الجبهة اللبنانية هادئة، ولا المواجهة مُجَدّداً مع إيران باتت مُستبعدة. وبالتالي فالجميع

يتساءل الآن: هل فَتْح جبهة برّيّة جديدة في رفح سيُساعد في إطفاء نيران الحرب، أم أنه سيفتح باب جَهنّم على الجميع؟

3 – تقييمات إسرائيلية للهجوم على رفح:

تعتقد "إسرائيل"، بحسب المُحَلّل العسكري لموقع «واينت»، رون بن يشاي، أن مَعْبر رفح يُمثّل «أحد الأصول الحيويّة» بِيَد حركة حماس، ويُشكّل أهميّة لسكّان القطاع كافة، كَوْنه المَنْفذ الوحيد إلى الخارج، وتحته تمتد «أنفاق تستخدمها حماس؛ إضافة إلى المُهَرّبين الذين يستخدمونها في إطار أعمالهم التجارية». ويُضاف إلى ذلك، أنه عَبْر شارع صلاح الدين تدخل الشاحنات القادمة من مصر، ومن ضمْنها شاحنات المساعدات الإنسانية، «ومن خلاله أيضاً تَمَكّنت حماس خلال السنوات الماضية من إدخال كلّ المواد المتعدّدة الاستخدام، التي جَيّرتها لتصنيع السلاح، والحفّارات والأدوات التي بَنَت بها الأنفاق». ووفقاً للكاتب نفسه، فإن أحد الأمور التي تمّ التوافق عليها في مُباحثات الهدنة، يتمثّل في قائمة من 50 عنصراً من الحركة أصيبوا خلال الحرب، ويحتاجون إلى علاج في الخارج؛ «غير أنّ الدخول إلى رفح سيؤخّر علاج هؤلاء، وهو ما يُشكّل مزيداً من الضغط على حماس».

وإلى جانب ما تَقَدّم، يُضيف بن يشاي، أن طريق «صلاح الدين» يُعَدّ طريق المرور الضروري من الجنوب نحو الشمال؛ وبالتالي، «حتى لو لم يكن الجيش الإسرائيلي مُتَمَرْكزاً في شمال القطاع، فإن سَيْطرته على طرفي هذا الطريق تعني سيطرته على حركة النزوح شمالاً بحكم الأمر الواقع». ويشير إلى أنّ لدى جيش الاحتلال في رفح هدفَين استراتيجيَّيْن: الأوّل «هو السيطرة على محور فيلادلفيا ومَنْع عمليات التهريب»، والثاني هو «تفكيك كتائب حماس المُتَبقّية في المدينة»؛ لكنه يعتقد أن ثمّة عائقَين استراتيجيَّيْن أمام ذلك: «الأوّل يَكْمن في التعامل مع النازحين والمُهجّرين، ومع الرأي العام والمجتمع الدولي الذي يرى أن المَساس بهؤلاء سيُشكّل كارثة إنسانية وجريمة حرب». والثاني «يَتَعَلّق بخشية مصر من أن العملية ستَدْفع بالسكّان الفلسطينيين إلى اخْتراق السياج الحدودي والفرار إلى رفح المصرية وسيناء».

في المقابل، يعتقد المُحَلّل السياسي في صحيفة «معاريف»، بن كسبيت، أنه حتى لو احْتلّت إسرائيل رفح، وقَتَلت 500 مُقاتل في «حماس»، فإن هذا لن يُعدّ انتصاراً إسرائيلياً، لأنّ «الانتصار على الحركة يتحقّق بمجهود

كبير يَتواصل لسنوات»، مُقارناً بين ما يجري في القطاع وعملية «السور الواقي» في الضفة الغربية خلال الانتفاضة الثانية، والتي بحَسْبه «لم تُحقّق شيئاً» إلّا بعد مرور سنوات من ذلك. وبحسب رأيه، فإن ما حَدَث في الضفة ينبغي أيضاً أن يَحْدث في غزة، «لكن بشكل أصعب وأخطر، لأن حماس في عام 2024 أخطر وأقوى من (المقاومة الفلسطينية) التي كانت في الضفة في بداية الألفيّة. وهدف الحرب الحالية هو خلق وضع يَتَمكّن فيه الجيش الإسرائيلي من الدخول إلى غزة والخروج منها بحُريّة نسبيّة. وهذا الهدف أنْجزناه تقريباً "

ويشير إلى أن «الجيش بَدأ عملية في رفح. (ولكن) إذا سألتموه ماذا يريد المستوى السياسي منه، فإنه لا يمْلك الإجابة عن هذا السؤال، كما لا يمْلكها المستوى السياسي أيضاً»، مُضيفاً أنه بالنسبة إلى توقيت البدء بـ«العملية المحدودة»، فإن إسرائيل مَنَحت من خلاله «لطاقم مفُاوضيها تفويضاً بقول «نعم» للمُقترح المصري، وإحباط «نعم» حماس بطريقة مُلتوية».

أما بالنسبة للاجتياح بحدّ ذاته، فقد أثيرت شكوك كثيرة في الداخل الإسرائيلي حول جدوى الاجتياح البريّ لرفح، وسط عدم اقتناع العديد من المسؤولين بقدرة الجيش الاسرائيلي على تحقيق نتائج إيجابية في حال إقدامه على هذه الخطوة الدراماتيكية. وفي السياق، نقلت قناة «أي 24 نيوز» الإسرائيلية تصريحات ليسرائيل زيف، الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية، أبْدى فيها مُعارضته لأي عمل عسكري في رفح بدون وجود خطة واضحة لمن سَيَتسلّم السيطرة على المنطقة بعد العملية. ورَجّح زيف أن تكون هناك «مصيدة استراتيجية» أعَدّتها "حماس" قد تؤدّي إلى كارثة يتحمّل مسؤوليتها الجانب الإسرائيلي. وسلّطت القناة الضوء على تصريحات أخرى تُعزّز وجهة النظر السابقة، مَنْسوبة إلى يوسي كوهين، الرئيس السابق لجهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد)، الذي أكّد أن الموقف الرسمي الإسرائيلي حول العَزْم على دخول رفح قد يكون مُبالَغاً فيه. واستبْعد كوهين القدرة على إزالة سلطة "حماس" في غزة بشكل كامل، مُشيرًا إلى أن التصفية الكاملة للحركة «غير واقعية». ورأى المُحلّل السياسي لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، ناحوم برنياع، أن التقدّم في رفح من دون استراتيجية سياسية، يُمثّل الفجوة بين الواقع القائم وما يُخطّط له الجيش، قائلاً: «خلال حروب إسرائيل، وبشكل أكبر في حرب غزة، اتّضح أن ما يُخَطّط له الجيش وما يَحْدث على أرض الواقع هما قصّتان مُختلفتان»، مُذكّراً بأن «ضبّاطاً سابقين وحاليين في الجيش حَذّروا من أنه ليست لدى نتنياهو استراتيجية خروج. فحتى مع افْتراض نجاحنا في السيطرة على محور فيلادلفيا... لِمَنْ سنُسلّم المنطقة التي سَيْطرنا عليها؟ لا يوجد أحد في إسرائيل، باستثناء اليمين

المُتطرّف، يَرْغب في أن يَحْكم هو أو أولاده حكماً عسكرياً في القطاع». ويَلْفت الكاتب إلى أن البيت الأبيض أوضح لنتنياهو أنه في حال شنّ عملية عسكرية واسعة في رفح، فإنه «سيَفْرض حظراً على إمداد إسرائيل بشحنات أسلحة (ذَكَرت صحيفة وول ستريت جورنال أن إدارة جو بايدن تُعَرْقِل وصول الشحنات في ضوء تَفاقم الضغوط الداخلية على الإدارة بسبب الحرب)»، مُضيفاً أن "بايدن تَعَهّد في بداية الحرب بالوقوف إلى جانبنا ضد "حماس". وبعد سبعة أشهر، إسرائيل عالِقة في غزة، وفي لبنان أيضاً. وهذه ليست إسرائيل التي سعى بايدن إلى مُساعدتها".

أما المُحلّل السياسي الإسرائيلي شلومو غانور، فرأى أن "الخُطَط العملياتية الحربية أُقِرّت وتمّ اعتمادها من قِبَل المستوى السياسي، وتجري أعمال إقامة المناطق الآمنة لإخلاء السكّان العُزّل لإبعادهم عن محيط دائرة القتال المتوقّع. لكن الأمر يتوقّف الآن على تهيئة المناخ الدولي السياسي، ولا سيما الموافقة الأميركية، لاستكمال الوصول إلى رفح وأنفاقها، لَعَلّه يُرْغم قادة "حماس" على مواجهة مصيرهم، أو مُقايضة حياتهم مُقابل المخطوفين الإسرائيليين الذين يُشكّلون دروعاً بشرية وبوليصة تأمين لبقائهم."

وقالت وسائل إعلام إسرائيلية إنّ "نتنياهو يقع الآن بين فكّي كمّاشة. فمن ناحية، تَضْغط عليه حركة حماس من أجل تحقيق مَطالبها بإنهاء العدوان؛ ومن ناحية أخرى، تَضْغط عليه إدارة بايدن لإظهار المزيد من المرونة والسعي للتوصّل إلى صفقة تبادل أسْرى"، مُضيفةً أنّ "شدّة الضغط الأميركي ستُحدّد ما إذا كان سيَستجيب لجهود الإدارة الأميركية أم لا." وتُضيف هذه الوسائل أنه سيكون للخطوات الأميركية تأثيرٌ حاسمٌ على استمرار التطوّرات. كما أنّ واشنطن تقترح تغليف التنازل الإسرائيلي بمجموعةٍ مُتنوّعةٍ من الإجراءات، وعلى رأسها اتفاق تطبيع إسرائيلي – سعودي، وفق صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية. ولفتَت الصحيفة إلى أنّه إذا رَفَضَ نتنياهو التراجع عن عملية رفح، فقد يعني ذلك فَرْض قيود على الأسلحة الأميركية "للجيش" الإسرائيلي، إلى جانب مُفاقمة الحصار الدولي، مُضيفة أن المقاطعة الاقتصادية التي أعلنتها تركيا لا تُقدّم سوى أخبار سيّئة أولى، وقد تأتي مُقاطعات أخرى لاحقاً. وأفادت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية، أن أكثر من 600 من أهالي جنود "جيش" الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة، وجّهوا رسالةً إلى وزير الأمن، يوآف غالانت، ورئيس الأركان، هرتسي هاليفي، يطالبونهما فيها بعَدم اجتياح رفح. وجاء في الرسالة: "لم نَعُد نثق بكما. ودخول رفح قد يكون فخاً مُميتاً."

وفي وقتٍ سابق، كشفت القناة الـ"12" الإسرائيلية أنّ 30 ضابطاً وجندياً من قوات الاحتياط في "جيش" الاحتلال أعلنوا رفضهم أوامر الاستعداد لعملية عسكرية في مدينة رفح، بسبب عَجْزهم عن مواصلة القتال في القطاع بعد نحو 7 أشهر من القتال. وكتب ناحوم برنياع في يديعوت أحرونوت: عندما تكون دولة بأكْمَلها تنتظر أياماً وليالي كلمة من أحدٍ ما، هو يحيى السنوار، فثمّة ما يَشْهد على خطورة وضعنا. كلٌ من وزراء كابينت الحرب ينتظر أمَله الخاص. غالانت، غانتس، آيزنكوت، ودرعي، يَتَمنّون جواباً إيجابياً؛ رون ديرمر يَتَردّد، إذ يصعب عليه الخروج عن مجال القرار الضيّق الذي تَرَكه له سَيّده. ونتنياهو، يكفي أن نقول عنه إنّ جواباً سلبياً من "حماس" سيُسَهّل عليه الحال جداً مع سموتريتش وبن غفير، ومع القاعدة، ومع العائلة، ومع البيت الأبيض. نتنياهو يُحِب أن يقوم الآخرون بمُهمّته". ويضيف الكاتب: "لقد نَجَح نتنياهو في زَرْع توقّعات في القلوب بأنّ "النصر المُطلَق" سيتحقّق في رفح. أربع كتائب حماس المُتبقّية ستُباد، وسيُلْقى القبض على السنوار أو يُصفّى، وسَيَتحرّر عشرات المَخطوفين، إن لم يكن كلّهم. إنّ القول بأنّ الكتائب الأربع قد تتفكّك بشرى طيّبة لكلّ من هو في الجانب الإيجابي من الحرب، بما في ذلك حكومتا القاهرة وواشنطن. لكنّ السنوار لن يَختفي بالضرورة؛ وثمّة شك في أنّه في رفح. والمَخطوفون، الأحياء والأموات، مُوزّعون في عدّة أماكن، وتحت سيطرة عدّة جهات. وهناك احتمال أكبر في أن يَتسبّب اجتياح رفح بموت المَخطوفين".

ويضيف برنياع "... لقد قال لي أحَدُهم من داخل المنظومة، إن رفح ستكون في النهاية استعراضاً تظاهرياً، شيئاً ما يَسْمح لمُذيعي اليمين أن يَصْرخوا: احْتلَلْنا، انْتَصرنا، حَقّقنا أهداف الحرب، دون تحقيق أي شيء حقاً. ومُراسلة التلفزيون ستَقِف على كومٍ من الأنقاض وتُعْلِن: أمْسَكنا بالقطعة الأخرى من حذاء السنوار. رفح هي الخدعة الإسرائيلية". ويختم الكاتب مَقاله بالقول: "العالم جُنّ جُنونه"؛ قال لي أمريكي زار السعودية هذا الأسبوع. "في السعودية يُدْخِل الحاكم المُتطرّفين الدينيين إلى السجن. وفي إسرائيل يَسْمحون لهم بإدارة الدولة".

من ناحية أخرى، تحدّثت مجلّة "فورين بوليسي" الأمريكية، عن عدم جدوى استراتيجية رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، بعد مرور 7 أشهر على الحرب في غزة، بسبب تَعارض هدفي الحرب، وهما القضاء على حركة حماس، وإعادة الأسرى المَخطوفين. وأكّدت المجلّة، في مقال نشرته للكاتبة أنشال فورا، أن الخطَط الإسرائيلية أصبحت "غير منطقية". وأوضحت أنّ "نتنياهو تَعَمّد إعطاء أولوية القضاء على حماس على إطلاق سراح الأسْرى منذ بداية الحملة العسكرية، من دون أن يكون لديه في الواقع خطة مُتَماسكة لتحقيق أيٍ من

الأمرين". وذَكَرت الكاتبة أن نتنياهو يواجه اتّهامات مُتزايدة من جانب المُحلّلين العسكريين وجزء متزايد من الجمهور الإسرائيلي، بمُجَرّد الرد على الأحداث، فيما يَفْتقر إلى الرؤية التي يُمْكن أن تُنْهي الحرب وتُحرّر الأسرى. ونَوّهت إلى أنّ نتنياهو "وضع نُصْبَ عينيه الآن مدينة رفح في جنوب قطاع غزة، حيث لَجَأ أكثر من مليون فلسطيني إلى هناك"، مُشيرةً إلى أنّ "أيّ هجوم من هذا القبيل لن يُثير غضباً دولياً فحسب، بل سيَجْعل المفاوضات مع حماس أكثر صعوبة". ولَفَتَ المقال إلى أنه "بعد فترة وجيزة من هجوم حماس في الـ7 من أكتوبر، أعْلَن نتنياهو الحرب. وكانت الرسالة الأساسية المُوجّهة إلى عائلات الأسرى هي أنّ قَصف غزة من شأنه أن يَضْغط على "حماس" لحملها على إطْلاق سراح الأسْرى، وفي الوقت نفسه القضاء على حماس". وتساءلت الكاتبة قائلةً: "حتى لو تَمَكّنت القوات الإسرائيلية، بعد أعوام من القتال، من تدمير حماس في غزة، فماذا عن تجسيدها في المستقبل؟ وحتى لو تَمَكّن الجيش الإسرائيلي من تدمير فروع حماس على مدى فترة أطول من الزمن، فكيف سَيتمكّن نتنياهو من القضاء على فكرة المقاومة المُسلّحة من دون التوصل إلى حل سياسي في الأفق؟".

ورأى الكاتب الإسرائيلي رونين برغمان، أنّ رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو باعَ الوهْم "للإسرائيليين" على مدار الأشهر الماضية، بأنّ الضغط العسكري سيُسْهم في استعادة الأسْرى، وهذا ما لم يحصل. وأضاف: قريبًا سيَنْكشف مدى الوهْم الذي باعَته الحكومة والجيش للإسرائيليين حول مُجريات الحرب على قطاع غزة واقتراب تحقيق أهدافها. وأشار إلى أن الجيش الإسرائيلي" غَيّر موقفه من فصل شمالي القطاع عن جنوبه؛ فبَعد أن كان من أشدّ الداعمين للخطوة، بات يُطالب بإلغاء الفصل؛ فيما "حماس" لم تُغيّر مواقفها منذ العَرْض الذي قَدّمته قبل 5 أشهر؛ و"إسرائيل" هي التي بَدأت بالنزول عن الشجرة". وبيّن الكاتب برغمان، أن تقديم العملية في رفح على أنها ستُحقّق هدفي الحرب (هزيمة حماس المُطْلَقة واستعادة الأسْرى) مَحْض أوهام. وقال إنّ أثمان الصفقة آخذة في الارتفاع مع مرور الوقت وليس العكس؛ مُرْدِفًا: "قد لا يكون لدينا أسْرى أحياء إذا هاجم الجيش رفح؛ وحينها لن يكون لدى نتنياهو ما يَبيعه للإسرائيليين. وذكَر الكاتب أنّ وزير الجيش يوآف غالانت قال قبل اجتياح خانيونس إن الهجوم سيَخدم استعادة الأسْرى واغتيال السنوار؛ وبعد الهجوم، لم تُغَيّر "حماس" مواقفها، وتَبيّن زيف الادّعاء بأن الضغط العسكري هو الحل.

وضمن النقاش الإسرائيلي الداخلي حول معنى اجتياح رفح أو احتلالها، وتَبِعات ذلك، رأى القائد السابق لغرفة العمليات في جيش الاحتلال الجنرال في الاحتياط يسرائيل زيف، أن اجتياح رفح خطأ، مُحذّراً من أن "حماس" تعدّ "كميناً استراتيجياً" لإسرائيل هناك. ويضيف: "بدون أن نُحَدّد هويّة الجهة التي نُسلّمها المناطق التي نَحْتلّها بعد العملية العسكرية، فإنّني لا أؤيّد الاجتياح في رفح، لأنّ منسوب الخطر في اللحظة التي نُقَرّر الهجوم هناك عالٍ جداً، نتيجة أن رفح مكان مكتظ وصعب القتال فيه. ولا شك عندي أن "حماس" تنصب لنا في رفح كميناً استراتيجياً يُنْتِج كارثة تَحلّ بإسرائيل؛ ويُضاف لذلك حساسيّة الموضوع بالنسبة لمصر وللولايات المتحدة. وفي مثل هذه الحالة، أنتَ تقوم بخطوة فيها مُخاطَرة أكبر بكثير من كلّ ما فعلناه داخل القطاع". ويوضح زيف مُتسائلاً بالقول: إنه في حال قُمْتَ بالاجتياح وبحوزتك فكرة لِمَن تُسَلّم المنطقة التي تَحْتلّها، فَعِنْدها تُفَكّك كتائب "حماس"؛ ولكن إذا ما ذَهَبْتَ إلى رفح لتَفعَل ما فَعَلْتَه في خان يونس، وفي بقيّة القطاع، فإنّك تَتْرك فراغاً فيها وتُغادرها؛ وعندها تستعيدها "حماس" مُجَدّداً. فماذا فعلنا إذن؟ عن ذلك يُجيب يسرائيل زيف: "عِنْدَها نَفْقد كلّ مَكاسب الجيش. أنْ نفْعَل ذات الشيء في رفح يعني وكأنّنا لم نَتَعَلّم شيئاً، وهذا مُحبِط جداً. ولذا أنا أعارِض الاجتياح بشدّة. هذه إدارة سياسية يَتّبعها نتنياهو بضغطٍ من سموتريتش وبن غفير، وخلافاً لموقف غالانت وغانتس والمؤسّسة الأمنية". أضاف: "رئيس الحكومة ضعيف جداً، ويَتَعرّض لضغوط من قِبَل وزراء متشدّدين يعملون وفق اعتبارات غير أمنيّة؛ وهكذا تُصْنَع القرارات في إسرائيل اليوم".

وفي السياق، دعا رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، إيهود أولمرت، الملايين من الإسرائيليين للنزول إلى الشوارع، لمَنْع حكومة بنيامين نتنياهو، من تدمير إسرائيل "قبل فوات الأوان"، على حدّ تعبيره. وأضاف أن "قادة حماس الذين لا يزالون على قَيْد الحياة، وعلى رأسهم يحيى السنوار، ومحمد الضيف، سيُكَلّفان إسرائيل ثمناً باهظاً للوصول إليهما". وأشار إلى أن "الهدف الذي لم يُحَقّق حتى الآن هو تحرير الرهائن، لأنه هدف لم يكن في محور اهتمام نتنياهو، منذ البداية، وهو ما أجْهَض محاولات وساطة كثيرة لإبرام اتفاق لإطلاق سراح الرهائن كافة". وأكّد أولمرت أنه لا يوجد أي أهمية استراتيجية لاحتلال مدينة رفح من ناحية "المصالح الحيوية الإسرائيلية"، مُشدّداً على أن "بنيامين نتنياهو يُدرك ذلك، وأيضًا بعض قادة الجيش، ويجب على الجمهور أن يمنع ذلك". وبحسب تقدير أولمرت، فإن اللحظة الحالية في غزة بشأن الإنجاز العسكري ومستوى الردع المُحقّق، هي نفسها التي وصلت إليها إسرائيل في نهاية حرب لبنان الثانية؛ ولفت إلى أن "نتنياهو وضَع في بداية العملية البريّة

هدفاً غير واقعي، ولا يوجد أيّة طريقة لتحقيقه أو أيّة إمكانية لقياسه؛ وحديثه عن النصر المُطلَق على حماس هو شعار فارغ، ولن يكون هناك مثل هذا النصر. وفي ظل غيابه، يمكن دائماً اتّهام الجيش بعدم تحقيقه". وتابع أولمرت: "إسرائيل لن تخرج مُنتصرة في هذه المواجهة. والحديث المُتبجّح عن النصر المُطلَق يعكس الغباء والغطرسة؛ وبالأساس هو محاولة للهرب من مظاهر عدم الانتصار". وقال: "نتنياهو منذ فترة طويلة لا يُفكّر في المصالح الإسرائيلية الاستراتيجية وما يجب فعله، ويعيش لوحده في فقاعة مقطوعة عن الواقع؛ وهو يَروي لنفسه ولمُحيطه بأنه يُحارب على وجود دولة إسرائيل التي يُحَلّق فوقها خطر حقيقي، وأنه مُلْقاة على كاهله مهمّة تاريخية للوقوف أمام كلّ العالم." وختم أولمرت: "لقد حان الوقت لوقف نتنياهو وحكومة بن غفير وسموتريتش. وقد حان الوقت لملء شوارع الدولة بملايين المُعارضين المُصَمّمين. يجب عليهم تطويق مجموعة الهستيريين الذين يقودون دولة إسرائيل نحو الدمار، ووقْفها قبل أن يكون الوقت متأخراً جداً".

من جهتها، أكّدت وسائل إعلام إسرائيلية أن "عملية رفح لا تَحْمل أيّ ميزة استراتيجية، وتأتي في ظلّ خسارة إسرائيل أي رصيد دولي، وسَتَنْتهي بالانسحاب وتسليم المفاتيح إلى حركة حماس، كما جَرى في خان يونس جنوبي قطاع غزّة".

من جانب آخر، أشار الجنرال المُتقاعد، ومُفوّض شكاوى الجيش السابق، يتسحاق بريك، في مقال في صحيفة "هآرتس"، إلى أن "غالانت ورئيس أركان الجيش الإسرائيلي، هيرتسي هليفي، يُمارسان ضغوطًا من أجل دخول كبير إلى رفح. وأنا أقول إن دخول الجيش الإسرائيلي إلى رفح ليس فقط أنه لن يؤدّي إلى انهيار حماس، وإنّما سَيُورّط إسرائيل مع العالم كلّه ومع دول عربية وَقّعت على سلامٍ معنا. وهذا سيُلغي كليًا قُدرة إسرائيل على التخلّص من الرمال المُتحرّكة". وأضاف بريك: إسرائيل ستكون في حرب استنزاف لسنوات عدّة؛ «ستُقَوّض مُجْتَمعنا، واقتصادنا، وعلاقاتنا مع العالم، ولن نَتَمكّن خلالها من تجهيز الجيش للحرب الشاملة والمُتعدّدة الجبهات، والتي هي التهديد الوجودي على إسرائيل». ونَبّه إلى أن كلّ ذلك سيتسبّب «في كارثة بَيْننا وبَيْن الولايات المتحدة، ودول صديقة في العالم، وأيضاً دول عربية تُقيم معنا علاقات سلام، ويُعَرْقِل بناء التحالف بين الولايات المتحدة والسعودية وإسرائيل، ولا سيما أن اجتياح رفح لن يَتَقدّم بنا إلى أيّ مكان». وقال بريك: إنّ "هذا يَنْطبق على قرارات 'قيادة الدولة التي أدْخلت إيران أيضًا إلى مواجهة مباشرة، من دون أن تأخذ العواقب بالحسبان. ومن شَأن أفعالهم أن تقود إلى حرب إقليمية شاملة، ليست إسرائيل على استعداد لها مُطْلَقاً اليوم؛

وهذه ستكون حرباً تؤدّي إلى دمار رهيب في الجبهة الداخلية الإسرائيلية، وأشْبه بذلك الذي ألْحَقناه في غزة، مع خسائر شديدة جدًا". وتابع أن "الثُلّة التي تتمسك بمِقْوَد قيادة الدولة، تقود، بقراراتها غير المسؤولة والخطيرة، إلى كارثة قومية لم تشهدها دولة إسرائيل قط من قبْل. فهي تُطْلِق النار في الآن نفسه إلى جميع الاتجاهات – حماس، حزب الله، إيران – لكنّها لا تَنْجح في تحقيق الأهداف، حتى التي قرّرتها في جبهة واحدة. وهذه الثلّة ليست مؤهّلة لقيادة الحرب ولا الدولة". وذَكَرَت وسائل إعلام إسرائيلية أنّ "إسرائيل" لا تَنْتظرها أي صورة انتصار في رفح، لأنّ رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، "مشلول من الرعب"، وغير قادر على اتخاذ قرار واحد مهم. وفي مقال في صحيفة "معاريف"، أشار الكاتب السياسي الإسرائيلي، بن كسبيت، إلى أنّ " نتنياهو أصبح منذ فترة طويلة عبئاً على إسرائيل"، مؤكّداً أنه "يجب أن يُخْلي مكانه". وأشار كسبيت إلى أنّ "الشيء الوحيد الذي يُمْكن أن يَدْفع نتنياهو إلى الجنون ودخول رفح بكامل الزخم الآن، هو مُذكّرات الاعتقال التي تُهدّد المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي بإصدارها ضدّه".

4 – خاتمة:

على خلفيّة الحديث المُتكرّر عن الاستعدادات الإسرائيلية بشأن اجتياح مدينة رفح جنوبي قطاع غزة، نشر موقع "ميدل إيست آي" البريطاني، مقالاً لرئيس تحريره ديفيد هيرست، أشار فيه إلى أن العلامات كافة تؤكّد تعرّض دولة الاحتلال الإسرائيلي إلى "هزيمة استراتيجية" واضحة في عدوانها المتواصل على قطاع غزة. وبَرْهَن "هيرست" على طَرْحه هذا بالإشارة إلى وجود عقبات لا تُحْصى في وجه قادة الاحتلال، من خسارة الرأي العام الغربي، إلى القلق الشديد الذي بات يُساوِر داعميها. وبالنسبة لإدارة بايدن، فقد حدّدت مَوْقفها العلني ضدّ غزو رفح. وحتى لو تأخّرت المُناورات حتى تشرين الثاني/نوفمبر المقبل، فإن طبيعة دعم دونالد ترامب، في حال فوْزه، ستظل سؤالاً مفتوحاً. صحيح أن الأمريكيين أرسلوا آلاف القنابل وأسطولًا من طائرات إف–35 إلى إسرائيل قبل بضعة أسابيع. لكن هذا الأمر صَدَرَ قبْل سنوات، ولا يُشكّل أي ضمان للأحكام المستقبلية. وبعد سبعة أشهر من الدم والدموع، ما هي النتيجة؟ دمار هائل في غزة، واحتلال جزئي وهش للشمال. ولكن لا يزال هناك أكثر من 130 رهينة في الأسْر. كما أنّ "حماس"، على الرغم من خسائرها، لا تزال بعيدة عن التدمير؛ ولا تزال أربع كتائب على الأقل تَعْمل في رفح، ولا يزال رمْز المقاومة "السنوار" طليقاً؛ ولا يزال حزب الله، الذي يمتلك أكبر

ترسانة صاروخية في المنطقة، يُطْلِق الصواريخ على إسرائيل، ويستعد لحرب مستقبلية معها؛ والنتيجة: اختفاء النصر الموعود من الأفق، وتهجير عشرات الآلاف من الإسرائيليين من مُستوطناتهم، ويعيشون في الفنادق على نَفَقَة دافعي الضرائب، وغزة في حالة خراب؛ وإسرائيل مَكروهة في جميع أنحاء العالم. وهذا كلّه يعود إلى أنّ نتنياهو وزُمْرته الفاشيّة يعتقدون بأن إسرائيل تعيش في خضم حرب ستستمر لسنوات عديدة، وأنه وحده هو القادر على قيادة هذا التحدّي. كما أنّ حكومة الحرب الإسرائيلية تَوهّمت بأن الضغط العسكري وحده هو الذي سَيُرْغم حركة "حماس" على إطلاق سراح المُحْتَجزين الإسرائيليين لديها، ولدى الفصائل الفلسطينية الأخرى. بَيْدَ أن القوات الإسرائيلية لم تُفْلِح، على الرغم من هذا الضغط، في تحرير أيٍ من هؤلاء المُحْتَجزين. بل كان اتفاق الهدنة، الذي اسْتمرّ أسبوعاً في أواخر شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2023، هو الذي سَمَح بإطلاق سراح 80 مُحْتَجزاً إسرائيلياً من النساء والأطفال، ونحو ثلاثين أجنبياً أو مُزْدَوجي الجنسية، وذلك في مُقابل تحرير 240 أسيراً فلسطينياً من السجون الإسرائيلية، من النساء والقاصرين أيضاً. ومع الوقت، صار هذا العَجْز يؤجّج التوتّرات الداخلية في "إسرائيل"، ويدفع عائلات المُحتَجزين إلى زيادة ضغطها على حكومتها، واتّهام رئيسها بأنه لا يَمْنح الأولوية في أجنْدته لإطلاق سراح المُحْتَجزين، بل لبَقائه في سدّة السلطة. وصار هذا الضغط يَتّخذ، منذ شهر آذار/مارس الفائت، شكْل تظاهرات صاخبة يُنَظّمها المُتظاهرون المُحْتجّون وعائلات الرهائن أمام المقرّ الرسمي لرئيس الوزراء، وكذلك أمام مَقرّ إقامته الخاص. وكان آخرها تلك التظاهرة الضخمة في تل أبيب، بمشاركة نحو مئة الف شخص، طالبوا بالعمل الفوري على التوصل إلى اتفاق يعطي الأولوية لإنهاء الحرب وإطلاق سراح المُحْتَجزين، وحملوا لافتات كُتِب عليها: "الوقت يُداهمنا"، "عودة الرهائن على قيْد الحياة، وليس في توابيت". كما دعوا إلى رحيل بنيامين نتنياهو وحكومته وإجراء انتخابات تشريعية فورية. وأدّت المأساة الإنسانية في قطاع غزة إلى تآكل الدعم الدولي لإسرائيل بصورة تدريجية، بحيث وجدت "إسرائيل" نفسها، بعد سبعة أشهر من الحرب، في عزلة دولية لا سابق لها، وبدا وكأنّ المجتمع الدولي قد تَخلّى عنها، وأصبحت موضوع دعوى قضائية أمام محكمة العدل الدولية تُلْزِمها بمَنْع أعمال الإبادة الجماعية، ودعوة من مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة إلى فَرْض حظْر على الأسلحة المُرسَلة إليها؛ كما تزايدت المخاوف من التصعيد الإقليمي واتساع نطاق المواجهة. أما الحليف، أو الشريك، الأميركي، فقد نَفَد صبره من رئيس وزرائها، وسَمَح،

بامتناعه عن التصويت في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، في 25 آذار/مارس الفائت، بتَمْرير قرار يُطالِب بوقف إطلاق النار في غزة خلال شهر رمضان.

لقد أَلْحَقت الحرب الإسرائيلية، المستمرة منذ سبعة أشهر، نكبة حقيقية بقطاع غزة وبُناه التحتية، وجعلت سكّانه الفلسطينيين يُعانون مُعاناة قاسية لا مثيل لها، سَيَحْتاجون بعدها إلى سنوات عديدة للتعافي منها.

وفي المقابل، وضعت هذه الحرب "إسرائيل" أمام مأزق كبير، إذ وجدت نفسها في وضع مُخْتَلف تماماً عمّا كانت عليه في السادس من تشرين الأول/أكتوبر 2023: فهي عالِقة في غزة، مُنْقَسمة على المستوى الداخلي، مَعزولة على المستوى الدولي، وعلى خلاف مُتزايد مع حليفها الأميركي، وأمام خطر انْدلاع حرب إقليمية. أما "النصر الكامل" الذي وَعَدَ به نتنياهو الإسرائيليين، عند بدء هذه الحرب، فهو لا يزال بعيد المنال. كما أنّ نتنياهو ربَط مصيره السياسي، وحتى الشخصي، باستمرار الحرب الجارية وصولاً إلى رفح، وبات هاجسُه الوحيد البقاء في السلطة، والتملّص من تهديد حلفائه في اليمين القومي الديني بالانسحاب من حكومته وفَرْط الائتلاف الحاكم في حال إقْدامه على وقْف هذه الحرب. كما أنّ قضية اجتياح رفح لها علاقة بالأهداف الحقيقية للحرب، ومنها وأهمها السيطرة الكاملة على قطاع غزة، وإعادة هَنْدَسته جغرافياً وديموغرافياً وسياسياً بحسب المصلحة الإسرائيلية. أضِف إلى ذلك أن دخول رفح معناه احتلال مَعْبر رفح ومحور فيلادلفيا (صلاح الدين)، وإنهاء أيّ مصدر لصورة السيادة الفلسطينية على قطاع غزة. وفي النتيجة، يسعى الإسرائيلي لتنفيذ مُخطّطاته الحقيقية غير المُعْلَنة، وفي مُقَدّمتها تحويل غزة إلى مكان غير صالح للحياة، والتحكّم في هندسة إسكانه من جديد، وطبيعة وماهيّة سكانه، وخصوصاً شمال غزة، المنطقة الهجومية للقطاع عسكرياً.

كما يُخْفي نتنياهو، في طيّات الحرب المُفْتَرضة، أهدافاً انتخابية حزبية أكثر أهمية لمستقبله السياسي. فهو يُريد أن يظهر بصورة البطل الصهيوني القومي القوي؛ وهو رغم المعارضة الأميركية لعملية رفح، والتحذيرات المصرية، والإدانات الدولية للعملية، يمضي في تنفيذها ليَظْهر كقائد حازم يستطيع الوقوف أمام العالم، الأمْر الذي يُداعِب به أحلام شركائه المهووسين، خاصة بن غفير وسموتريتش وفاشيّة كتلته الانتخابية اليمينية. أما بالنسبة إلى "الجيش" الإسرائيلي، فهو يُرَكّز اهتمامه على حفظ الأمن القومي قبل أي شيء، ومن دون حسابات سياسية، ما لم تَكن مُرْتَبطة بالأمن القومي. وهنا يَبْرز الاختلال بين أولويّات "الجيش" الأمنية والعسكرية وأولويّات نتنياهو الشخصية. فالمؤسّسة العسكرية تَعْتبر حرب الاستنزاف التي يَخوضها حزب الله في الشمال، وازدياد

عملياته، كمّاً ونوعاً وجرأة، التهديد الأكثر أهمية من رفح؛ إضافة إلى قضية الحفاظ على التماسك الداخلي الإسرائيلي والعلاقة مع الولايات المتحدة الأميركية. كما أنّ الانتهاء من معْضلة رفح سَيَجْعل الجيش قد أتمّ مهنياً مهامه القتالية المركزية والأساسية في قطاع غزة؛ وبالتالي سيضع نتنياهو وحكومته مبكراً أمام استحقاق اليوم التالي قبْل الانتخابات الأميركية بوقتٍ مقبول؛ وكذلك سيتم حشْر نتنياهو سياسياً. فإما الفشل في إدارته الملفّات سياسياً، وتَحَمّل مسؤولية ذلك وحده؛ وإما أن يَتَساوق مع الرؤية الأميركية، وهذا ما تُريده المؤسسة العسكرية.

وفي المُحصّلة، الحرب لن تنتهي باحتلال رفح؛ وليس من مَصْلحة "إسرائيل" ولا قيادتها أن تنتهي الحرب من دون الإجابة عن سؤال اليوم التالي للحرب. وحتى الآن، لم تَنْجح القيادة الإسرائيلية في إيجاد بديل يُمْكنه إدارة غزة بعد الحرب ضمن المواصفات الإسرائيلية، الأمْر الذي سَيَجْعل احتلال رفح يقود "إسرائيل" إلى واحدٍ من أمرين؛ الأوّل هو الفوضى التي تُعْتَبر في المُخيّلة الإسرائيلية بيئة خصبة لبروز تهديدات أمنيّة قد تكون أكثر خطورة من تهديدات حركة حماس نفسها، مما سَيُغْرقها لسنوات في مُستَنْقع غزة؛ والآخر احتلال غزة بالكامل، بما يَتْبَعه من التزام إدارة السكّان ومَعيشتهم. وكِلا الأمْرين، بحسب الاستراتيجيين الإسرائيليين، يَضرّ بمصلحة الأمن القومي الإسرائيلي على المديين المتوسط والبعيد.

إنّ الحَرْبَ في غزة لم تَعُد تتعلّق بمصير نتنياهو وحكومته فحَسب، ولا حتى ب"إسرائيل" نفسها؛ بل باتت تَتَعلّق بمستقبل الغرب كلّه. والمستقبل بالنسبة للجميع بات أكثر خطورة من أيّ وقتٍ مضى.